نظرة على المجموعات البؤرية

هذا المقال ترجمة بتصرف من كتاب:
Focus Groups - 3rd Edition - (2000)
فصل: Overview of Focus Groups
للباحثين: Richard A. Krueger and Mary Anne Casey

المجموعات البؤرية هي عبارة عن لقاءات تضم أناسا يتراوح عددهم من أربعة إلى عشرة أشخاص، يتناقشون في قضايا وأمور محددة، وعادة ما يدير اللقاء باحث أو مشرف يسمى مدير اللقاء ويساعده شخص آخر يقوم بتدوين الأفكار والآراء، وتلخيصها في نهاية اللقاء.

المجموعات البؤرية هي خبرات شائعة، فالأشخاص يجدون أنفسهم مدعوين، مجتمعين، أو مشارين في مجموعات من أجل التخطيط، اتخاذ القرارات، النصيحة، التفكير المبدع، التعلم، المشاركة أو مساعدة النفس، اقتراح أفكار، توضيح خيارات محتملة، الرد على أفكار، التخطيط أو التقييم. والمجموعات البؤرية يجب أن تكون ممتعة ومثمرة، ولكن يمكن أيضا أن تكون خبرات ضارة، إذا كانت غير ضرورية وغير مثمرة ومضيّعة للوقت، وهذا يحصل إذا كان المشرفون مشوشين عن الهدف، أو مشوشين في الإجراءات، مما يؤدي إلى شعور المشاركين بالإحباط.

فالباحث أو المشرف (مدير اللقاء) يخلق بيئة ملائمة للمجموعة البؤرية التي تشجع المشاركين على تبادل الملاحظات ووجهات النظر بدون الضغط عليهم للتصويت أو التوصل إلى إجماع أو اتفاق، وليس من الواجب القيام بمجموعة بؤرية واحدة، فنقاش المجموعة يجب أن يدار عدة مرات مع مشاركين يحملون الصفات نفسها.

إن دراسة المجموعة البؤرية هي دراسة سلسلة مخططة بشكل جيد من النقاشات المصممة من أجل الحصول على أفكار في حقل معين، وهي تتم في بيئة ملائمة لا يوجد فيها تهديد، والنقاشات يجب أن تكون مريحة ليتمتع المشاركون بتبادل الأفكار والملاحظات، سيما وان أعضاء المجموعة يؤثّر الواحد منهم بالآخر عن طريق الاستجابة لأفكار بعضهم بعضا والتعليق عليها ونقدها.

مبررات عقد المجموعات البؤرية

بدأ علماء الاجتماع في نهاية الثلاثينيات والأربعينيات باكتشاف استراتيجيات تجعل دور الباحثين وتدخلهم الشخصي محدودا، ويكون باستطاعة المجيبين التعليق على الأمور التي يعتقدون أنها مهمة، وهي بالتالي:

- قامت بنقل التركيز من على الشخص الذي يُجري المقابلة إلى المجيب، وجعلت التركيز على ما يتناسب وواقع المجيب.
- استخدمت الأسئلة المفتوحة وسمحت للأفراد بالإجابة دون وضع حدود أو تزويد مفاتيح لنماذج لإجابات محتملة.
- أعطت فرصة واسعة لنقد وتوضيح ومشاركة الخبرات والمواقف لموضوع ما.
- توضح البيئة الطبيعية للموضوع بصورة أكثر من المقابلة الفردية، لأن المشاركين يكونون مؤثرين ومتأثرين ببعضهم بعضا.

وإن من مبررات عقد المجموعات البؤرية أيضا هو الكشف عما يجول في نفس المشاركين، ومعرفة حقيقة ما يفكرون وما يشعرون به، فبالنسبة لبعض الأشخاص، يكون الكشف عما يجول في النفس سهلا وطبيعيا ومريحا، بينما بالنسبة للآخرين يكون صعبا وغير مريح ويتطلب ثقة وجهد وشجاعة، والكشف عن النفس يمكن أن يكون سهلا في بعض المواقف وعكس ذلك في المواقف الأخرى. والكشف عن النفس يحدث لعدة أسباب:

1- لأن الجو أو البيئة غير مهددة بالنسبة لهم، (لندا وستن) الطبيبة النفسية في جامعة جنوب كرولين تقول: «إذا قمت بكشف شيء ما عن نفسك إلى إنسان غريب، فأهم شيء ألا تكون هناك نتائج سلبية، فمثلا إذا أقلعت بطائرة فإن العلاقة مع الآخرين في الطائرة ستكون سريعة جدا، وعميقة جدا، وتنتهي بسرعة فائقة».

2- إذا أدركوا انهم متشابهون بطريقة ما، واحتمال أن يكون لديهم ميزة أو أكثر يشتركون بها مثل العمر، الجنس، المهنة، الوضع العائلي، أو أن لهم نفس المواقف في موضوع النقاش.

فالباحث جورارد (1984) وجد أن الأفراد يقررون الكشف عن أفكارهم أو آرائهم إلى شخص آخر بناء على ملاحظاتهم وانطباعاتهم عن ذلك الشخص، وفي دراسته عن الكشف عن النفس وجد جورارد أن الأشخاص

يميلون إلى الكشف عن أنفسهم إلى الناس الذين يشبهونهم بأشياء معينة أكثر من الناس المختلفين عنهم.

ومن أهداف عقد المجموعات البؤرية خلق جو مريح ومتسامح خلال النقاش بعيدا عن الخوف والقلق، لهذا يجب دائما اختيار المشاركين الذين لديهم شيء مشترك وإخبارهم بهذا الشيء المشترك.

صفات ومهام مدير المجموعات البؤرية

- ألا يكون في موقع القوة والتأثير أو تشجيع التعليقات المختلفة الإيجابية والسلبية.
- أن يكون حذرا من عمل أي أحكام على استجابة المشاركين.
- ألا يجيّر أسلوب اللغة التي تؤدي إلى الاستحسان أو الاستنكار.
- إدارة النقاش من خلال طرح الأسئلة والاستماع والملاحظة والتحليل بالأسلوب الاستقرائي بحيث يشتق الفهم الذي يشير إليه النقاش .
- العمل على إشراك كل مشارك في المجموعة البؤرية.

اشتراك الأشخاص في المجموعة البؤرية

إن المجموعة البؤرية تتكون من خمسة إلى عشرة أشخاص، إلا أن الحجم يمكن أن يتراوح من أربعة (ويكون قليلا جدا) إلى اثني عشر شخصا (ويكون كبير جدا)، فالمجموعة البؤرية يجب أن تكون صغيرة إلى حد ما من أجل إعطاء الفرصة لكل مشارك في طرح أفكاره، وان تكون كبيرة إلى حد معين، حتى تمكن من إعطاء أفكار وملاحظات مختلفة ومتنوعة. وإذا زاد العدد عن اثني عشر مشاركا فإنه من الأفضل أن تقسم المجموعة، لأن كلاً من المشاركين يريد التحدث، إلا انهم لا يستطيعون لعدم توفر الفرصة الكافية لهم في النقاش، وفي هذه الحالة يبدأ المشاركون بالهمس، كل واحد منهم يهمس إلى الشخص الذي يجلس بجانبه وهذا يحدث عندما تكون المجموعة كبيرة الحجم، أما المجموعة الصغيرة التي تتكون من أربعة أو خمسة مشاركين فإنها توفر الفرصة الكافية لكل مشارك للمشاركة بالأفكار، إلا أن هذه المجموعة الصغيرة ينتج عنها القليل من الأفكار المطروحة، وفي هذه الحالة تسمى مثل هذه المجموعات الصغيرة (بالمجموعات البؤرية المحدودة) والتي يمكن أن تعقد في البيت أو في المطعم.

ميزات معينة يمكن أن يملكها المشاركون

المجموعة البؤرية تتألف من مشاركين يكونون متجانسين في أمور معينة، وهذا شيء مهم بالنسبة للباحث، وان طبيعة هذا التجانس يقرر حسب هدف اللقاء، ويجب أن يعلم هؤلاء المشاركون بهذه العناصر في بداية النقاش.

كمية المعلومات التي تزودها المجموعة البؤرية

ومن أهداف المجموعة البؤرية جمع المعلومات التي تهم الباحث، وإيجاد سلسلة من الآراء للمشاركين في المجموعات المختلفة، وهنا يقوم الباحث بالتمييز والمطابقة للمعلومات التي حصل عليها من ثلاث مجموعات على الأقل، وهذا يختلف عن تفاعلات المجموعة التي تهدف إلى الوصول إلى نتيجة في نهاية النقاش أو التوصيات أو اتخاذ قرارات من بين الخيارات المطروحة.

المجموعة البؤرية لها نقاش مركّز

إن أسئلة المجموعة البؤرية تصمم بشكل جيد، فالأسئلة تصاغ وتسلسل بحيث تكون سهلة الفهم والمنطق للمشارك، إن أغلبية الأسئلة المفتوحة تظهر بشكل عفوي، إلا أنها تتطور من خلال رد الفعل والمداخلات. إن طرح الأسئلة يسمى «سير الأسئلة أو اتجاه المقابلة» بحيث يرتب بتسلسل طبيعي ومنطقي. فالأسئلة القريبة من البداية تكون أكثر عمومية فهي التي تؤدي إلى الاستمرار، وتصبح الأسئلة اكثر تحديدا وأكثر تركيزا. إن أسئلة البداية تساعد المشاركين على الحديث والتفكير بالموضوع، وأما الأسئلة القريبة من النهاية فتركز على المعلومات الأكثر أهمية، بحيث لا يكون هناك أي ضغط من قبل الشخص الذي يدير اللقاء بهدف إيصال المجموعة إلى نتائج معينة، بل يجب الاهتمام بفهم ومشاعر وتفكير المشاركين وهم يناقشون القضايا المحددة.

الخلاصة

المجموعات البؤرية هي كائنات خاصة في مملكة المجموعات، فهي من حيث المظهر العام تشبه بشكل كبير الأنواع الأخرى، أما من حيث البحث والفحص فإن للمجموعة البؤرية صفات تميزها عن غيرها من المجموعات:

1- المجموعات البؤرية تشرك أناسا متجانسين في قضايا محددة.
2- هدف المجموعات البؤرية هو جمع معلومات نوعية من النقاش المركّز.
3- أسلوب مقابلات المجموعات البؤرية نوعي في جمع المعلومات.

إن المجموعات البؤرية مفيدة قبل وأثناء وبعد الانتهاء من البرنامج أو الحدث أو التجربة كما أنها وجدت كعامل مساعد لاحتياجات التقييم، وأيضا في إنتاج المعلومات من اجل استبيانات بنائية، وفي تطوير الخطط، وأيضا في اختيار الأفكار والبرامج الجديدة، وفي تحسين البرامج الموجودة وتطويرها، وفي تقييم الأداء.

ترجمة وتصرف رائد شماسنة

مركز القطان للبحث والتطوير التربوي